# تفسير سورة التحريم

**« وأسرار التنزيل ورموزه ، في كل باب ، بالغة من الطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ، ويند عن تبصره » الكشاف ٠**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**« عسى ربه ، ان طلقكن ، أن يبدله أزواجا خيرامنكن : مسلمات ، مؤمنات قانتات ، تائبات ، عابدات ، سائحات ثيبات ، وأبكارا ٠ »**

نحن لانزال بصدد المشكلة القائمة بين الرسول ، صلوات الله عليه ، ونسائه ٠ وقد رأينا ان الله تعالى ، عاتب الرسول عتابا رقيقا ، لأنه حرم ما أحل الله ابتغاء مرضاة أزواجه ٠

واذا كان هذا خطابا للرسول ، فليس خاصا به ، انه عام بالنسبة للأمة الاسلامية ، فكل فرد من أفرادها اذا تأثر بالعاطفة الزوجية ، فحرم على نفسه ما أحل الله ، داخل فى نطاق هذا العتاب ٠

والواقع : أن الفرد ، اذا حرم على نفسه فى صورة جزئية فردية خاصة به فحسب ، شيئا مما أحل الله ، فان ذلك لا يعتبر من الجرائم الكبرى بل انه فى الاحيان لا يعتبر جريمة قط

بقلم
الدكتور: عبد الحليم محمود

فقد يتعفف انسان عن بعض الملذات التى تبعث فى النفس استمتاعا فلا يتعفف عنها حياء من الله ، أو هيبة له ، أو ترويضا للنفس فلا يؤاخذ ولا يلام ٠

وليس هذا من قبيل : اباحة ما حرم الله ، فان تلك جريمة كبرى ومعصية ٠ والعتاب فى الواقع ، اذن : يتعلق ، أكثر ما يتعلق ، بخضوع الانسان لنزوات زوجته وعواطفها ٠

والآيات القرآنية تحذير عام لجميع رجال الامة الاسلامية : ألا ينهجوا هذا النهج ٠ ومن باب أولى : ألا يسيروا فى الطريق الى غايته ، فيكونوا

أداة طيعة فى يد زوجاتهم ، يتصرفن فيهم كما يشأن أو كما يشاء لهن الهوى وتتحدث الآيات الكريمة عن أساءة زوجات الرسول له ، وتشتد فى تقريعهن وتأنيبهن ، ولكن المسألة ، أيضا ، عامة بالنسبة لكل زوجة والخطاب موجه بمفهومه ومضمونه الى كل أنثى ارتبطت برجل برباط الزوجية .

والآية التى نحن بصددها الان : تكملة لما سبقها ، واستمرار فى التأنيب واللوم ، ولكنها خاصة بناحية حساسة جدا بالنسبة للمرأة ، هى ناحية الطلاق ، فمزجت بين الرقة والعنف : أما الرقة ، فتتمثل فى كلمة : عسى » ، وفى كلمة : «ان» وكان من الممكن : أن يكون مطلع الآية هكذا : ان ربه اذا طلقكن »

ولكن ، مراعاة لشعورهن فى هذا الموضوع الحساس استعمل القرآن : «عسى» واستعمل : «ان» وهو أسلوب يفهم دقته البالغة البلاغيون والنفسيون

ولكن بين هاتين اللفظتين المراعيتين للشعور ، توجد كلمة : « ربه » وفى هذه الكلمة هزة للشعور قوية ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى رب الجميع انه رب هؤلاء النساء ورب محمد ، كما انه رب الكون كله ، ولكنه قال : « عسى ربه » أى رب محمد : فكان فى هذا القصر ايذانا بابتعاد الله عنهن ، ورعايته ـ كل رعايته ـ له دونهن .

والكلمات الاولى من الآية ، اذن واضحة لا تحتاج بعد ما قلمنا الى بيان .

أما الذى نريد أن نتحدث عنه : فهو وصف القرآن للزوجة المثالية ، هذه الزوجة ، التى يختارها الله لرسوله لو طلق زوجاته ، وقد وصف القرآن الزوجات المثاليات بنوعين من الوصف : نوع نفسانى معنوى دينى أخلاقى ونوع مادى حسى : أما النوع الاول : فهو مجموعة ، من الصفات تتصاعد وتتسامى الى أن تبلغ الغاية :

لابد أن تكون الزوجة المثالية مسلمة ، واذا كان القرآن قد أحل للمسلم الزواج بالكتابية ، فمما لاشك فيه أن المسلمة خير منها .

والواقع : أن الكتابية ، وان كان قد أحل زواجها ، فانها لا تؤتمن على دين الأولاد كل الائتمان ، فضلا عن أن عاطفتها ، فى العادة . أكثر ميلا الى بنى دينها منها الى المسلمين .

ولكن « الاسلام » متصل ، على الخصوص ، بالاعمال الظاهرية ، والتكاليف الشرعية المحسوسة المنظورة التى قد تؤدى دون أن تكون لها جذور عميقة فى القلب : ( **قالت الاعراب : آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** ) .

لابد أن تكون مع الاسلام مؤمنة ، والايمان ، اذن هو الصفة الثانيـــــة للزوجة المثالية ٠

أما الصفة الثالثة ، فهى : أن تكون قانته ، أى مطيعة لله ، واذا تأملنا هذه الصفات ، فاننا نجدها تتسامى باستمرار فى خضـــوع لله ، أولا ، وتصديق به وبرسوله ثانيا وطاعة لله ثالثا ، وقد يكون كل ذلك موجودا ، ويخطىء الانسان فيتغافل عن التوبة ، فلابد مع كل ذلك من صفة رابعة ، هى : الرجوع الى الله بالندم والاستغفار ، اذا ماهفى الانسان أو أخطا

وفى الدين : الواجب ، وفيه الفضل ، فيه الفرض وفيه الاحسان ومن اقتصر على الفرض والواجب فهو حسن ، وأفضل منه : من تعدى ذلك الى الفضل والاحسان ، أى العابد

والصفة الخامسة ، اذن ، أن تكون الزوجة عابدة ، أى متذللة لله بطاعتهـــا

أما الصفة الاخيرة التى بلغت الذروة من هذه الصفات النفسية : فهى أن تكون سائحة ، أى متجهة الى الله بكل كيانها ، انها سائحة اليه ، انهـــا فارة اليه : ( ففروا الى الله ) ٠

ومن كانت هذه صفتها ، فانها لاتعمل عملا يغضب ربها : سوف لاتفشى سرا ، وسوف لاتسىء الى زوج ، وسوف لاتعميها الغيرة عن فعل ما فيـــه مرضاة لله ورسوله ، انها ربانية

اما الصفات الحسية المادية ، فقد كانت من العموم بحيث دخل فيها جميع النساء : أنها شملت الكل ٠ وقد كان من المفروض : أن يتخير الله لرسوله الأبكار فحسب ولكن القرآن جعل الاهمية الكبرى : للصفات النفســية ، الدينية ، وهذه الصفات كما تكون فى الأبكار تكون فى الثيبات ٠

ثم انه لو اقتصر فى الوصف على الابكار فحسب لكان معنى ذلك : اذلالا لكل ثيب ، وكان فيه تقليل ، الى حدما ، من أهمية التقوى ٠

ثم لكان من وراء كل ذلك ، مدح وفخر لعائشة الوحيدة التى تزوجهـــا الرسول بكرا

على أن هاتين الصفتين الجسمانيتين حينما ذكرتا بيننا ــ بعمومهمـــا وشمولهما ــ أن الاساس فى اختيار الزوجة انما هو دينها

ولم تتحدث الآية عن جمال فاتن ، ولا عن ثراء عـــــريض ، ولا عن أرستقراطية عريقة : ذلك ان كلا من هذه الصفات لا يمكن أن تكون مقياسا صحيحا لاختيار الزوجة فقد تكون ــ اذا لم يرافقها التدين العميق ــ شرا وأى شر ٠

ومع ذلك فان القرآن لم ينه عن الزواج بالجميلة ، أو الثرية ، أو ذات الحسب العريق ، كلا ، وانما الاساس الجوهرى يجب أن يكون الدين ٠ ولكل شخص بعد ذلك مشربه وذوقه وهواه والله الموفق ٠ **للحديث بقية**

**عبد الحليم محمود**